

اثر الزراعيين فى الزراعة المصرية

الكلمة التى ألقاها

حضرة صاحب السعادة فؤاد أباطه باشا

فى الحفلة الختامية لطلبة البكالوريوس بكلية الزراعة فى يوم ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٢

حضرات عميد وأساتذة الكلية ، سادتى ، أبنائى الطلبة :

دعائى حضرات منظمى هذا الاحتفال المائلى لألقى كلمة عن أثر الزراعيين فى تقدم الزراعة المصرية — وليس أحب إلى من الاجتماع بأبناء هذا المعهد وذلك الوسط العلمى الذى يذكرنا بزمى الصبا والتحصيل والأمانى التى كانت تملأ قلوبنا وكلنا آمال فى المستقبل العظيم .

بعد قليل تجتازون أولى مراحل الحياة وتنتهون من دور التحصيل المدرسى وتواجهون حياة جديدة ، ولكن فترة التحصيل لم تنته بهذا الامتحان إذ تتصل بدور التحصيل الحقيقى الذى يزيد من اعتداد المرء بنفسه ويساعده على الصمود لأعاصير الحياة .

لا شك أنكم مستصفون صعبا فى أولى مراحل العمل . خير أن قليلا من الصبر والتأنى والمثابرة على الدرس سيجعلكم تتقبلون عليها وتندرجون فى نموكم العقلى مع تقدمكم فى العمر ، وفى وسعى أن أسوق إليكم عددا كبيرا من النصائح ، بيد أنى أخص منها نصيحتين كثيرا ما ألقاهما علينا ساكن الجنان المغفور له السلطان حسين كامل فى نصائحه لخريجى هذا المعهد عند تعيينهم بالجمعية الزراعية الملكية وخصوصا القائمين بالأعمال الفنية وهما : المثابرة فى العمل مع التواضع ، والثانية المقارنة والقياس بأعمال السابقين منا ، وإنى لا أشير إلى قواعد الشرف والأمانة وحسن الخلق فهذه أمور لا جدل فيها وأنكم تتعلمون بها .

فصر بلد زراعى يحترف أغلب أهله الزراعة وبذلك يمكن أن يدعى كل مصرى أنه زراعى فلا يضيركم هذا — أما فلاحها الصغير وإن قل ملكه أو رأس ماله فهو عامل مجد إليه رأيه العمل الصائب فى كثير مما يقوم به ، إذ توارث قواعدها التى صمدت جيلا بعد جيل . فلا تحاولوا الإقلال من شأنه فإن الكثير مما يعملهُ تؤيده قواعدها العلمية ، فيجب علينا إذا

ما اشتغلنا معه ألا نسفه رأيه لأول وهلة بل يجب التمشي معه ووزن خبرته واستخلاص السليم منها وما تقره قواعدنا العلمية ، ومهما أسرف الفلاح القمح في تعبيراته على طريقتة وسليقتة ففى وسعنا أن نستخلص منها شيئا مجديا بقبائل من الصبر والعمل على اكتساب نتقته ، وإذا تعمقت فى التمثيل فإن خوليا بسيطا قضى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة فى مزرعة ، فى وسعه أن يرشدك إلى الصالح والطالح من أجزاء المزرعة والعالى والواطى ، ومناسبة بعض الأعمال الزراعية مثل الرى وكيته وملاءمتها لكل زرة فى بقعة خاصة .

وفى الواقع أمكن لكثير من إخوانكم الذين سبقوكم فى التخرج من هذا المعهد أن ينجحوا فى أعمالهم باكتساب ثقة الفلاح الصغير الذى برهن على أنه قابل للاقتناع بكفاءاتكم متى اكتسبتم نتقته وأقمتم الدليل المادى على خبرتكم — والواقع أن هذا الفلاح ينجح لو أعطى زمامه لأمثالكم من ذوى الخبرة الزراعية العلمية والعملية . بيد أن زمامه فى أيدي كبار الملاك ، وكثير منهم يدعى الخبرة الفنية الارتجالية ويديرون مزارعهم بزعمهم على أحسن وجه أو يؤجرونها لصغار الزراع من غير رقابة فنية حقة ، وقد لا تكون لدى هؤلاء السادة فكرة طيبة عن مندرتكم ، وذلك نتيجة عدم تجربتهم إياكم وتباعدهم عن المشتغلين بالعلوم الزراعية منكم وانتظارهم أن تصل وزارة الزراعة أو الجمعية الزراعية أو الكلية إلى عقر دارهم ، وفاتهم أن هذه الهيئات إنما تعمل بصفة عامة للصالح العام ، وقد يكون فى تنفيذ تشريعاتها ما يلائم تمام الملاءمة ناحية من مصلحتهم المالية فى الظاهر ، فالكثير قد لا يذكر لوزارة الزراعة إلا إجراءات تنقية الدودة ، وتطبيق قوانين التلث أو التبخير الإجبارى وهلم جرا . على أنه بالرغم من وجود صدد قليل من طليعة المزارعين الذين خبروا ما تقوم به الهيئات الفنية الزراعية من جهد فى أعمالها وأبحاثها وحجها لتطبيقها فإنه لو أقبل جميع كبار الزراع على بحوثكم لاستفادوا بجهوداتكم ، واستفادت مزارعهم ، واستفاد بها فلاحها الصغير وتقدمت الزراعة المصرية عامة .

وليس اليوم الذى تتوفى الصلة بينكم وبين مختلف الزراع بعيد ، فأتم رسل المعهد والهيئات الزراعية .

وإنى إذا تكلمت عن تاريخ بزوغ فجر النهضة الزراعية فإنما أشير إلى إنشاء كليتنا الزراعية فى سنة ١٨٨٩ وبالطبع لا نجح حق بعض الأفراد الذين نشأوا فى عهد المغفور لها محمد على باشا وإسماعيل باشا الذى كانت تدرس فيه العلوم الزراعية مع غيرها من العلوم فى المدارس الحربية ، وقد بقى لنا من تراث هذا الجيل بضعة مؤلفات زراعية مفيدة من وضع المرحومين أحمد بك ندى وعثمان بك غالب وغيرهما من أعضاء البعثات بأوروبا .

قام أساتذة كلية الزراعة في أوقات فراغهم على الرغم من ضيقها بدراسات قيمة لا تزال نرجع إلى بعضها حتى الآن مع تحوير بسبب تقدم العصر، وذلك في مثل أبحاث طمى النيل وفائده وتحليلات الحاصلات المصرية والدورات الزراعية والبذر، في تغذية الحيوانات تغذية صحيحة على أسس علمية — على أن الفرصة لم تتح لنشر أمثال هذه المباحث التي كانت منحصرة في دائرة المدرسة الضيقة إلا بعد تكوين الجمعية الزراعية الخديوية في أبريل سنة ١٨٩٨

وتعتبر الجمعية الزراعية بحق معهدا ثانيا لعدد كبير من خريجي معهدكم كونه في حياتهم الزراعية والفنية، وكان من معظمهم نواة مصلحة الزراعة المصرية، فمن أقدم المنشآت الفنية في مصر أقسام الكيمياء والنبات والحشرات في الجمعية الزراعية، إذ أنشئت هذه الأقسام وقت تكوين الجمعية وسارت بالأبحاث شوطا بعيدا حتى وقتنا هذا، وفيها نبتت أول هيئة فنية مصرية تعنى بشؤون علوم الكيمياء الزراعية والنباتية والحشرية.

وكان من نتيجة قيام الجمعية الزراعية بأعمال الأبحاث ونشرها في مختلف الجهات وإنشائها العلاقات المتينة بينها وبين أعيان المزارعين بواسطة اللجان الزراعية التي كانت مؤلفة في كل مركز من مراكز القطر ويسومها خريجو معهدكم وقتئذ فتناقش في مختلف الشؤون الزراعية — أن مهد السبيل لإنشاء مصلحة الزراعة في سنة ١٩٠٩ لغرض الاستمرار فيما بدأت به الجمعية من الأعمال وتوسيع نطاقها تحت إشراف الحكومة، وقد بدأت هذه المصلحة صغيرة ثم كبرت بما انضم إليها من المنشآت والمصالح والهيئات مثل أقسام الطب البيطري والبساتين بخلاف ما أنشأته من الأقسام الفنية الأخرى كالحشرات والكيمياء والنباتات فصارت وزارة للزراعة في سنة ١٩١٥ — ويقوم بجميع الأعمال الفنية فيها رجال من معهدكم هذا تدرجوا في أعمالها.

كذلك تذكرون مصلحة الأملاك الأميرية وكانت خير عون لكل باحث في الشؤون الزراعية ففيها نبغ كثير من الزراعيين العاملين من أبناء معهدكم هذا وكذلك وزارة الأوقاف العمومية والخاصة الملكية وغيرها.

أما نتيجة أبحاث تلك الهيئات في مصر وأثرها في تقدم الزراعة فصفحات مشرفة ولا يمكن تفصيلها في هذه الكلمة كما لا أحاول تخصيص ما قامت به كل هيئة أو اسناد فضل لواحدة منها فالكل متعاونون ويعملون لغاية واحدة. فاذا أشرت إلى أعمال هذه الهيئات فإني في الحقيقة أعني خريجي معهدكم فهم القائمون بعصب هذه الأبحاث — وكان من باكورة الملاحظات أن محصول الأرض المصرية في الغلال والذرة مثلا كان لا يتناسب مع قوة إنتاجها، والمعروف عن خصبها، ففكر في استيراد الأسمدة الكيماوية بعد بحث وتحيص

وتجارب في مختلف أنحاء البلاد عن المحاصيل المختلفة مع اعتبار أولى وهو أن تكون الأسمدة الكيماية مساعدة لكميات السماد البلدى والطبيعى فحسب . وقد كان لاستعمال الأسمدة الكيماية أفضل الأثر في زيادة غلة الأرض المصرية وإمكان زراعة محاصيل متعاقبة وزيادة الثروة القومية .

وفي باكورة الأبحاث لم تغفل أعمال التنقيب عن مناجم الأسمدة من الترات والفسفات أو مركباتها الطبيعية مثل الطفلة والماروج والكفرى فعرف النافع والضار منها وقيمتها .

وكان من سعة الأبحاث عن الأرض والتربة الزراعية أن سهلت عمليات اصلاح الأرض المجذبة والتي كان نجاح الزراعة بها قليلا . كذلك أمكن الاستفادة بتيسير عوامل الخصب المفيدة في التربة وعدم عرقلةا باتباع طرق الخدمة الملائمة لها . واستعمل السماد بالطريقة المثلى وأحسن الأوقات المناسبة لاستعماله ، ومن أهم الظواهر معالجة الأرض القلوية والتي ما كانت لتنجح في اصلاحها طرق القسيل والصرف فأرشد المزارعون إلى طرق اصلاحها بعد أن ثبت وجودها في جميع أنحاء القطر ، كما أرشد المزارع لأحسن المواعيد لاستعمال الأسمدة الكيماية والبلدية ، كما أرشد لأفضل الطرق لتحضير السماد البلدى والطبيعى والسماد البلدى الصناعى من مخلفات الحقل والحيوانات والسلخانات ، وقواعد تسميد كل محصول على حدة فزادت كمية الغلة مما عاد على البلاد بأرباح كثيرة ، ولم يغفل الإرشاد عن مباد الآبار الصالحة للرى والضرارة وتأثير سوء الصرف وخير الطرق لصرف الأرض .

وكان تقدم الأبحاث النباتية عظيما فأنقا فأدخلت الأنواع الحديثة من النباتات والحاصلات وحسنت بما زاد من إنتاجها وقوة مقاومتها للآفات مثل أنواع القمح الهندى وغيره والأرز اليابانى وغيره والذرة الأمريكية ذات المحصول الوفير وأنواع القصب — أما عن القطن فحدث عنه ولا حرج إذ أوجدت أنواع كثيرة جديدة منه كان لها أكبر الأثر في إنماء دخل البلاد وبالتالي ثروتها — وأنواع القطن المستحدثة أو المنتخبة لها صفات مختلفة بحيث يلائم كل منها أغراضا خاصة وذلك مثل الأقطان الصعيدية المختلفة أى الأشموني ومشتقاته وهى وافرة المحصول وغيرها مثل جيزة ٧ وسخا والمعرض والوفير والكرنك وغيرها وبالمجمل حفظت هذه الأنواع سمعة مصر كأحسن البلاد القطنية لإنتاجا وزادت ثروتها .

أما الأبحاث الحشرية فلها أهميتها أيضا وقيمتها من حيث تقدم الزراعة وصيانة المحصول من فئك الحشرات فقد عمل الإخصائيون منكم على دراسة آفات القطن وطباعها وآفات المحاصيل المختلفة مما استرشد به الزراع في وقاية محصولاتهم وإبادة هذه الحشرات — وقد عمل إخصائيوكم على تنوير أذهان المزارعين وإزالة ما كان عالقا بأذهانهم من المعتقدات

الوهمية التي لا أساس لها من الصحة ومذت لإبادة الحشرات بعض تشريعات عظيمة الفائدة وفريدة في بابها وبالجملة تقوم المتناومة بأحسن ما في الإمكان — وقد شهد الخبراء العالميون الذين كانوا استحضروا لدراسة ما تقوم به مصر من طرق الوقاية فلم يجدوا ما يضيفونه الى هذه الطرق .

ولم يكن شأن المختصين بالأمراض الفطرية أقل أهمية من الأمراض الحشرية .

أما الخضراوات والفاكهة وأشجار الزينة والخشب والزهور وغيرها فقد قام خريجو معهدكم بالإشارة باستيراد ما يصلح منها لهذا البلد وآثارهم واضحة جلية لكل من له صلة بالحدائق والخضراوات — وأصبحت الأصناف الجيدة في متناول كل شخص بالانصال بكم — وقد استطاعت مصر أن تصدر قبيل الحرب كميات من الفاكهة والخضر لأوروبا .

يبقى موضوع الصناعات الزراعية وهو موضوع هام للإفادة مما تنتجه مصر من الحاصلات الزراعية وتحويلها إلى منتجات أكثر قيمة وأقوى على البقاء والحفظ للانتفاع بها في أوقات تكون فيها غير موجودة أو أثمانها مرتفعة — كما أنه يمكن الاستفادة بها ماديا بتصديرها إلى الخارج مما يدر الخير على البلاد ماديا من حيث زيادة الثروة ، وعمليا من حيث إيجاد عمل لصناع مصريين قد يكونون بدونهم عاطلين عن العمل خصوصا وعدد السكان في مصر يتزايد زيادة مطردة ، وغير ذلك من الفوائد ، ولا حاجة لتذكيركم بأهمية هذا الموضوع فيها كم منشآت الصناعات الزراعية في الكلية ولا تزالون تشغلون بها وتلمون بأسرارها ، وأعتقد أنكم قد وفيت جانب التحصيل ، وهاكم مؤلفات أستاذكم عن الصناعات الزراعية التي ألم فيها بأطراف الموضوع من الوجهات العلمية والعملية والاقتصادية والتطبيقية أيضا — وكذلك صناعة الألبان ومنتجاتها قد أعطيت عناية خاصة من الدرس والتجربة — فدعوني أصارحكم بأن مصر تنتظر من الاختصاصيين في الصناعات الزراعية الشيء الكثير ، وأن يكون الخريجون من الكلية رسل العمل على التوسع في تطبيق أبحاثهم — وقد رغبت الجمعية الزراعية الملكية من جهتها في أن يشمل نشاطها إنشاء مؤسسات صناعية زراعية وتستنير بأراء المشتغلين بدراساتها سواء في الكلية أو في قسم البساتين ووزارة التجارة أو الهيئات الأخرى الحرة وكلهم من خريجي معهدكم لتعرف أسباب النجاح وأسباب الفشل وترجو أن تصل بذلك إلى دعائم ثابتة لمشروعاتها .

وفي الختام أحييكم وأشركم لاستماعتكم وأهتكم سلفا .

فؤاد أبابظه